

تصرف السيدين إدريس ومسعود خلاف وعودهما

الدكتور عبدالمصور بارزاني لمجلة لفين
حاورته هيرو كمال كريم

الدكتور عبدالمصور بارزاني هو ابن شيخ سليمان ابن شيخ عبدالسلام بارزاني، ولد عام 1948 في المنفى في مدينة كربلاء، واشترك في ثورة أيلول وكان يتولى مسؤولية إدارة شؤون اللاجئين في إيران خلال عام 1974 وحتى إنهيان الثورة الكردية عام 1975 وهو شاهد عيان على الأحداث في تلك الفترة. ويعمل حالياً في جامعة السليمانية في تدريس علم التاريخ، وقد حصل على شهادة الدكتوراة في جامعة فينا-النمسا. إلتقته مجلة لفين وهذا نص الحوار الذي جرى معه حيث يلقي الضوء على الجانب المخفي من ثورة أيلول وإنهيارها ويتناول عدد من الأخطاء التي تؤثر في مجرى الأحداث ماضياً وحاضراً وبشكل محايد.

لفين: كواحد من أبناء العائلة البارزانية، كيف قضيت أعوام الطفولة ؟

د. ع. بارزاني : كانت طفولتي على شاكلة آخرين من البارزانيين طفولة غير طبيعية، محفوفة بالمصاعب بسبب النضال والمقاومة من أجل نيل الحقوق الكردية المشروعة وعانينا حياة المنافي في مدن العراق الجنوبية مثل كربلاء والبصرة وبغداد ثم الإنتقال الى هه ولبر (أربيل) وبقينا في المدينة الأخيرة لحين حدوث ثورة تموز 1958 . سمح عبدالكريم قاسم بإطلاق سراح شيخ بارزان [أحمد] من السجن وعودة البارزانيين الى أراضيهم، كما طلب شيخ بارزان من عبدالكريم قاسم السماح بعودة الملتجئين البارزانيين من الإتحاد السوفيتي الى وطنهم، فسمح بذلك قاسم. كانت علاقات شيخ بارزان مع عبدالكريم قاسم حسنة جداً لو قورنت بالعلاقة مع الحكومات العراقية الأخرى. كنت أكن كل الطاعة لأوامر شيخ بارزان وتعاليمه ، والآن لو عاد الزمن الى الوراء لاخترت نفس المسلك الذي إبتخنته في الماضي تجاه شيخ بارزان، لأن هذا هو المطلوب من أي بارزاني صادق.

لفين: كيف كانت العلاقات الاجتماعية، عملية الخطوبة بين الفتى والفتاة مثلاً ؟

د. ع. بارزاني : كان السائد في عهد شيخ بارزان من عرف فيما يتعلق بالزواج، هو رضى الطرفين، كان ذلك أهم شرط لحصول الزواج، ومعروف ان العلاقات بين الفتى والفتاة البارزانيين كانت مبنية على الحب المتبادل، وبنيت على أساسها العائلة الموحدة، حيث تتمكن من مواجهة جميع مصاعب الحياة إن بقيت العائلة موحدة.

لفين: من هو الرجل الذي مارس التأثير الأكبر على تكوين شخصيتك ؟

د. ع. بارزاني : بلا شك كان شيخ بارزان هو المؤثر الأهم، ويعود هذا الى قوة عنصر النزاهة والصدق والتواضع لديه، لم أرى إنساناً في حياتي له مثل هذه الصفات النبيلة.

لفين : ماهو تقييمكم للحزاب السياسية وماهي إنتقاداتكم للعملية السياسية؟

د. ع. بارزاني : ككاتب وكموطن كوردي إنتقدت أعداء الكورد وأنتقدت أوضاعنا الداخلية أيضاً وإنتقدت بشكل خاص الأحزاب السياسية، إحدى هذه الإنتقادات وسبق لي أن كررتها ، تتعلق بغياب الإتحاد فيما بين الأحزاب الكوردية، فمقاتلة بعضها البعض لدليل واضح على ما قلته، فهيات هذه الأحزاب للعدو فرص التدخل واستغلال ذلك لصالحه. فمثلاً يقول محمد طالب هلال وهو رجل المخابرات السوري يقول: أن تستخدم الكوردي ضد الكوردي عمل جد سهل، للأسف هذا الكلام صحيح، فالمعارك الداخلية شواهد على هذه الحقيقة.

لفين : قلت سابقاً ان هناك هدف سياسي من كتابة أطروحة الدكتوراة، ماذا تعني بذلك ؟

د. ع. بارزاني : كان الهدف هو السعي الى إفهام أوروبا عن طريق الكتابة، أن للكورد الحق في الحياة الحرة الكريمة، أياً كان شكلها سواء الصيغة الفدرالية أو غيرها، كنا في الماضي نمثلك دولا، والآن عدد سكان كوردستان يناهز الأربعين مليون نسمة لماذا تعتبر الفاتيكان والكويت دولا ويحرم الشعب الكوردي من هذا الحق ؟

لفين : مامدى الحرية السياسية التي تمتعت بها والتمايز عن بقية أفراد عائلتك ؟

د. ع. بارزاني : سبق وأن تناولت ذلك، لم أنحرف إطلاقاً عن تعاليم شيخ بارزان ولم أتردد عن تطبيقها فقد كان ذلك من صلب عاداتنا نحن البارزانيين وعلى العائلة البارزانية التصرف وفق تعاليمه. كان ممكناً ان لا أتفق مع والدي، لكن فيما يخص الوضع السياسي كان لي دوماً رأي وموقفي الخاص.

لفين : ماذا عن مسؤولياتكم في الثورة وماذا كنتم تتوقعون قبل حصول النكسة؟

د. ع. بارزاني: كنت مسؤولاً عن شؤون اللاجئين الكورد في إيران وأقوم بواجبي بهذا الشأن بصورة جيدة، بأشهر قبل حصول الإتفاق أرسلت خبراً الى مقرّ المكتب السياسي وقلت سيتوصل العراق وإيران الى إتفاق، وإن حصل ماذا سيكون موقفكم ؟ لم أتلقي رداً . وكنت قد ناقشت عدة مرات هذا الموضوع مع السيدين إدريس ومسعود. وفي إحدى المناسبات كنت في مدينة نغدة وكان السيد مسعود موجوداً في زيارة الى المدينة، وقابلته هناك وقلت له سيتفق العراق وإيران، ماذا ستفعلون في تلك الحالة؟ كيف سيكون موقفكم ؟ إنزعج السيد مسعود هذه المرة كثيراً، وقال : يبدو انه ليس لديك شيء آخر، ما أن تراني أو ترى إدريس حتى تبادر الى هذا الموضوع، لو كنت تعرف ما أعرفه أنا، لما سألت هذا السؤال. أجبته هل ممكن أن توضح لي أكثر. قال مسعود :علاقاتنا لاتقتصر على العراق وإيران فقط، إنما علاقاتنا أبعد وأكبر بكثير منهما. كان ذلك كافياً بالنسبة لي. فقلت : إنتهت مهمتى. وتوقف النقاش. لكن لسوء الحظ ما أن إنتهى الكلام، دخل أحد البارزانيين وعليه علامات التعب والعرق يتصبب منه، وكانت لديه رسالة الى مسعود وقال الرسول: هذه الرسالة وصلت من ادريس وهو يقول ان على مسعود أن لايعمل أي شيء وأن لايعاد الى أي مكان قبل قراءة هذه الرسالة. نظر مسعود اليّ وسأل ما محتور الرسالة ؟ قلت لو فتحها ستعرف وسأعرف أنا أيضاً ما في داخلها. وعندما فتحها بدت عليه علامات الدهشة، وقعت الرسالة من يده. نظر اليّ وقال : هذه خطأك، لقد كررت كثيراً أن الإتفاق بين العراق وإيران سيتم، الا ان إتفقوا. قلت كنت أقولها لكي تكونوا على علم، والآن ماذا سيكون عليه موقفكم ؟ أجاب : الآن لايمكن القيام بأي عمل.... وعندما تقرر بعد ذلك مواصلة القتال، ذهبت اليهم وقلت أنا مستعد للقتال وسأذهب الى أي موقع كان. فرح السيدان إدريس ومسعود كثيراً..

لم يمضي وقت طويل حتى تقرر التخلي عن المقاومة، ذهبت مرة أخرى اليهم وقلت ان هذا خطأ، يجب الإستمرار في القتال، كان إدريس يتكلم ومسعود يصغي، قال إدريس لايمكن الاستمرار في القتال لأننا أعطينا شهداء، قلت إنهم أيضاً قدموا الكثير من القتلى. قال ان لدينا الكثير من الجرحى. قلت هم أيضاً لديهم الكثير من الجرحى. قال الأسلحة قليلة لدينا. قلت هم أيضاً يعانون من نقص في الأسلحة، لذا في هذه الحالة يربح، أولئك الذين لديهم تصميم أكثر للدفاع عن حقوقهم، إن لدينا أناس كثيرين يريدون الاستمرار في القتال لأنهم يعتقدون ان الأكراد ظلّموا. كنا في هذا النقاش عندما وصل حسو ميرخان زازوكي أمر قوات بشدر. سأله إدريس عن سبب مجيئه، وقال حسناً فعلت، موجهاً اليه كلامه قائلاً، إن عبدالمصور لايجوز منا، يقول يجب الاستمرار في القتال وأنا أقول إن ذلك غير ممكن، كيف ترى أنت من هو الأحق منا ؟ أجاب حسو ميرخان بلا تردد، عبدالمصور على صواب. نظر اليه إدريس وسأله لماذا هو على صواب ؟ قلت لو نظرت الى هؤلاء الشباب المتوافدين على المقرات ومصطفين يطلبون السلاح لمواصلة القتال لأنهم يعتقدون أن خيانة حصلت بحق الشعب الكوردي، وإن رأيت هذا في كل البلاد لتوصلت الى قناعة انه يجب الاستمرار في القتال.

توصلت الى قناعة انه لا جدوى من اللاحاح، فرجعت الى نغده. رجوت من شيخ سليمان أن يتكلم في هذا الموضوع مع ملا مصطفى. كان شيخ سليمان على نفس الموقف الذي يدعو الى المقاومة. ثم ذهبت الى مازندران وحاولت ان اجد طريقاً للخروج من إيران، لذا اتصلت بالسفارة الأمريكية، واخيراً تمكنت من الخروج، وكنت واحداً من الأشخاص الذين قبلتهم الحكومة النمساوية لاجئاً. بالنسبة لموقفي من حدك بعد موضوع (الضباط الأحرار) والذي فشل لم أكن على إستعداد للعمل مع الحزب الديمقراطي الكوردستاني. لكن عند اقتراب موعد سفري التقيت بالسيد ادريس، قال لي يجب ان تساعدنا، في جوابي عددت له ما عملوه لي في كذا مكان وكذا تاريخ. كان يحلف ويقسم بأن هذا لن يتكرر. ثم قلت ان ساعدتكم هذه المرة لي شروط، والجدير بالذكر أن شقيقي عبدالسلام كان يحث أشخاص مثل عزت سليمان بك ده ركه له لإقناعي بمساعدتهم. وفي إحدى الأيام جاء لي مسعود لنفس الغرض. وضعت شروطاً معينة أمامه وقلت: في أوروبا بلدان ديمقراطية، ويجب أن يختار الناس ممثليهم عن طريق الإنتخابات، لكي نحصل على دعم هذه البلدان، وشروط آخر كان يتعلق بمعاينة الجواسيس، وقلت ليس ممكناً أن أعتقل جاسوساً ومن ناحية أخرى أنت تطلق سراحه، ولايمكن القبض على لص وأنت تطلق سراحه، ينبغي معاينة المخالفين بشدة. إن لم يكن بهذا الشكل لا أتمكن من التعاون معكم. ولو سمعتم كلامي لكننا الآن في كوردستان ومنذ زمن بعيد ولواصلنا القتال. وأضفت لمعلوماتكم ان جلال الطالباني موجود في سوريا ويحاول مواصلة النضال، أنا لن أشارك في حرب إقتتال الأخوة، فإن إتفقتم سأقدم خدماتي، وإن لم تتفقوا لست على استعداد للدخول في حرب إقتتال الإخوة وأن أحمل السلاح ضد الكوردي، وفي رأي أن القضية الكوردية لن تحل بحزب واحد، فلو إتفقتم يصعب على العدو القضاء علينا. قبل السيدان ادريس ومسعود هذه الشروط ووعدا بأن هذه الشروط سوف تنفذ كاملاً. لكن ظهر فيما بعد أن تصرفهما كان على العكس من الوعد التي قطعوها. وتوقفت عن دعمهما وتركتهم، لذا أقول أنني لم أشارك في حرب إقتتال الإخوة وأيدي ليست ملطخة بالدم الكوردي. كان شعاري هو "إن لم تكن زهرة فلا تكن شوكة".

لفين: عندما كنت في نغده، أشياء أخرى قالها لك السيد مسعود؟

د. ع. بارزاني : عندما انتهت الثورة عام 1975 عاد قسم من اللاجئيين الى العراق وبقي قسم آخر في إيران، وكنت من الذين بقوا في إيران لمدة معينة. وبعد عدة أسابيع على قرار إنهاء الثورة رأيت السيد مسعود داخل خيمة... قال لي : عبدالمصور لقد قلت الحقيقة كان علينا مواصلة القتال وكان ذلك مبعثاً للعزة والكرامة وكان أفضل لو قتلنا في المعارك من ان نعيش في مثل هذه الحالة التي نحن فيها الآن.. قلت لافائدة من العودة الى الماضي لأنه لن يعود، لكن الآن لدينا الوقت ومن الأفضل أن نقاتل. إستغرب السيد مسعود وقال الآن كل شيء إنتهى. قلت لنبدء من جديد. يبدو انهم لم يفكروا بذلك على الإطلاق أي البدء بالنضال المسلح. قال مسعود كيف يمكن البدء ؟ قلت لايزال لدينا بعض الضباط ويمكن جمعهم كما يمكن جمع 500 شخص من البارزانيين من مخيمات اللاجئيين خلال 24 ساعة أو نختار 500 شخص من مناطق سوران من مخيم كرمانشاه ، سألني مسعود هل ستقوم بهذا العمل؟ قلت نعم بشرط منحنا العون الضروري. وفي مهاباد قمت بجمع الضباط في غرفة واحدة وأتينا بالمصحف الشريف وقلت، لقد قررت العودة الى كوردستان من منكم سيدعمني ويعود معي الى كوردستان للبدء بالنضال. الأكثرين منا تناول القسم وقالوا سنعود معك، وقمنا بإيصال الخبر الى السيد مسعود ومفاده أن الخطوة الأولى إتخذت ونحن بانتظار الخطوة المقبلة منكم.

إنهم لم يتخذوا أية خطوة من جانبهم، وهنا أخذ الضباط يلومونني وكانوا يعتقدون أنني غيرت رأي. قلت لهم أن الفكرة كانت من عندي لكن الماعل ان لم اتلقى الدعم؟ وطلبت منهم مرافقتي لمقابلة مسعود وإستصاح الأمر منه وربما إقناعه بدعمنا. ثلاثة منا ذهبنا اليه لكن ظهر انهم لم يقوموا باتخاذ أية خطوة. ولم تكن هناك فائدة من المحاولة.

وماذا حصل في النهاية للضباط ؟

د. بارزاني : لم يمضي وقت طويل حتى تم نقل الضباط الى مدن إيرانية أخرى بعيداً عن الحدود العراقية. لا أستطيع القول فيما اذا كان لإيران علم بذلك، أي بالخطوة التي صممنا عليها مع الضباط . لكن عندما ذهبت الى مازندران ظهر لي أن إيران كانت على علم بذلك. فعندما كنت في مدينة بوشهر وكانوا قد عينوني في معمل للقطن، استدعتني السلطة الإيرانية الى مدينة (سارى) وتقع وسط محافظة مازندران، سألوني حول (الضباط الأحرار) من هم ؟ تظاهرت بالجهل، وقلت أن الضباط الأحرار موجودون في بلاد مصر وكانوا بقيادة جمال عبدالناصر، وإن كان قصدكم العراق، كان الضباط الأحرار هم بقيادة عبدالكريم قاسم. قالوا اننا لانعني أولئك، إنما قصدنا الضباط الأحرار الكورد.

لفين: كيف ترى المستقبل الكوردي ؟

د. بارزاني: في نظري ينبغي على جميع الأحزاب الكوردية التوجه نحو الديمقراطية وان تؤسس العلاقات وفق المبادئ الديمقراطية، ليس هناك شعب آخر بحاجة الى الديمقراطية كالشعب الكوردي، وينبغي اتخاذ موقف موحد والإبتعاد عن الحرب الداخلية، فعدد الأكراد الذين قتلوا بأيدي كوردية يفوق عدد القتلى بيد الأعداء، هنا لأعني عمليات الأنفال حيث قضى على عدد كبير منهم. ورغم ان الكورد حصلوا عن طريق القتال على الكثير الا انهم خسروها على مائدة المفاوضات.

LVIN no 67.....15/May/2008